الرسالة الحادية والثلاثون في نهج البلاغة، دراسة في أساليبها

روح اله نصيري

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وأدبها

بجامعة أصفهان / جمهورية إيران الإسلامية

Stylistic study of the 31st letter in Nahj al-Balaghah

Rooh Allah Nasiri

Associate Professor at the Department of Arabic Language and Literature

University of Isfahan

Islamic Republic of Iran

ملخص البحث

الأسلوبية، من المباحث الأدبية المعاصرة وذات أهمية خاصة وتعد من المناهج المهمة لفهم خصائص أي عمل أدبي، وتهتمّ بترابط الوحدات اللغوية والتعبيرية وانسجامها، كما تتطرَّق إلى دراسة الألفاظ والعبارات والصور والأخيّلة والمشاعر والعواطف والمعاني المستخدمة في النص، وكذلك كيفية ارتباط بعض هذه الأدوات ببعض، كما تميِّز الكلام أو الكتابة عن البنى اللغوية والتعبيرية الأخرى.

الرسالة الحادية والثلاثون من نهج البلاغة رسالة طويلة للإمام علي (عليه السلام) بعنوان الوصية يوصي بها ابنه وكل أبناء العالم. الأسلوب الأدبي لهذه الرسالة تحفّه سمة تعبيرية خاصة بها، إذ اختار الإمام لرسالته هذه الألفاظ الخاصة والبنية المنظمة، واللغة المجازية، وتجانس الحروف، والأنواع الأخرى من الأنماط الصوتية الجيّدة، هذا ما جعل الرسالة مشهورة من حيث الأسلوب، هذا يجعل من الضروري معرفة أسلوب هذه الرسالة وتقديمه.

في هذه المقالة دُرِست عناصر أسلوب الرسالة الحادية والثلاثين من نهج البلاغة؛ على المستوى الصوتي، والمستوى المعجمي، والمستوى النحوي، والمستوى البلاغي، والمستوى الأيديولوجي وفق المنهج الوصفي التحليلي.

Abstract

Stylistics, one of the contemporary literary investigations, is of particular importance and is considered one of the important approaches to understand the characteristics of any literary work. Stylistics is concerned with the interconnectedness and harmony of linguistic and expressive units. It deals with the study of the vocabulary, phrases, images, imagination, feelings, emotions, and meanings used in the text, as well as how some of these tools relate to each other. Stylistics distinguishes speech or writing from other linguistic and expressive constructs.

The Thirty-first Epistle of Nahj Al-Balaghah is a long letter by Imam Ali (PBUH) entitled 'the The literary style of this treatise is endowed with an expressive feature of its own, as the imam chose for his epistle these special words, the organized structure, the figurative language, the homogeneity of letters, and other types of good sound patterns. This is what made the epistle famous in terms of style. This makes it necessary to know the style of this epistle and submit it.

In this article, the elements of the thirty-first message style of Nahj al-Balaghah are studied; at the phonetic level, the lexical level, the grammatical level, the rhetorical level, and the ideological level according to the descriptive analytical approach.

١- المقدمة

لعبارات الإمام علي (عليه السلام) ميزتان خاصتان بها؛ أولاً: الفصاحة والبلاغة وثانياً قيمة المحتوى. لم لا فكلام الإمام علي (عليه السلام):"فوق كلام المخلوق ومن دون كلام الخالق [١]". الوصية الحادية والثلاثون من نهج البلاغة هي رسالةٌ طويلة ومفتوحة وجَّهها الإمام علي (عليه السلام) إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) بوصفّها وصية لابنه عند عودته من معركة"صفين" في قرية"خاضرين".[٢] تتألف المنظومة التربوية في الوصية الحادية والثلاثين من نهج البلاغة من أربعة عناصر وهي الأسس، والأهداف، والمبادئ، والمناهج.

بما أنَّ الرسالة الحادية والثلاثين من نهج البلاغة، بِغَضِّ النَّظر عن محتواها الغنيّ، تحتوي على عناصر أسلوبية بارزة تظهر الذوق الأدبي للإمام علي (عليه السلام) فإنَّ التحليل الأسلوبي لهذه الرسالة حاجة واضحة ومبيَّنة. طريقة البحث في هذه المقالة تعتمد على اختيار العناصر الأسلوبية البارزة في الرسالة قيد الدراسة وشرحها وكشف الخبايا وإزالة الستار عنها.

٢- علم الأسلوب:-

الأسلوب مصطلح قديم، لكن الأسلوبية ظهرت في القرون الأخيرة. أول من اهتموا بالأسلوب هم أولئك الذين درسوا الخطاب. كان أفلاطون أول من تناول مسألة الأسلوب. وفقًا لأفلاطون، كلَّما وجد المعنى شكله المناسب، يظهر الأسلوب. بعد أفلاطون، الشخص الذي ترك اسمه وعمل في هذا المجال هو أرسطو. يعود تاريخ استخدام مصطلح الأسلوب في اللغة العربية إلى القرن الثالث الهجري

وذلك في آثار الجاحظ وأبي هلال العسكري.

الأسلوب مرتبط بكيفية التَّعبير ومنهجه. الأسلوب هو تمهيدات وفنون وتقنيات يستخدمها الكاتب في التَّعبير. فيشمل اختيار الألفاظ وانتقاءها، البنية النحوية، اللغة المجازية، تجانس الحروف والأنماط الصوتية الأخرى الداخلة في إبداع النص ابتكاره[٣] من الجدير بالذَّكر أنَّ عناصر الأسلوب قد لاتكون واضحةً حتى لمتخصِّصي الأسلوبية؛لأنَّه من المحتمل أن يكون في داخل العمل الأدبي وأعماقه قواعد خفية متكررة تكوَّنت منها الأسلوب مستفيداً من كل الامكانات اللغوية (الصوتية، المعجمية، النحوية، الدلالية والنصية).

يشمل الأسلوب الأدبي تحليل الأشكال اللغوية مثل: النبرات، الأصوات، الكلمات، التركيبات النحوية، الإيقاع، والمعاني الضمنية، طول واختصار الجمل، التركيبات المجازية والاستعارات للغة.[٤]

مستويات ووحدات التحليل في اللغة التي يمكن أن تنظم دراسة أسلوبية هي: المستوى الصوتي، والمستوى المعجمي، والمستوى النحوي، والمستوى البلاغي، والمستوى الأيديولوجي[٥] فيما يأتي وصف لكل عنصر من هذه العناصر.

التحليل الصوتي عبارة عن دراسة أصوات اللغة كما يتمّ إنتاجها وإدراكها في الكلام؛ نطق الكلمات في الكلام والأنماط اللغوية التي يتمّ دراستها باستخدام علم الأصوات[٦] يتمّ تحديد الموسيقى الخارجية (والجانبية) من خلال فحص الوزن والقافية والصف. يتمّ إنشاء الموسيقى الداخلية للنص من خلال صنعة البديع اللفظي وأنواع السجع (السجع المتوازي و

المتوازن و المطرف و الموازنة و الترصيع و تضمين المزدوج)، وأنواع الجناس، وأنواع التكرار (متجانس الحروف، متجانس الأصوات)[٧]. والموسيقى الداخلية هي نتيجة التناسقات وتجاور الكلمات والرنين المحدَّد لكل حرفٍ بالنسبة للحروف المجاورة الأخرى.[٨]

للتكرار[٩] دور خاص ومهم في دراسة الموسيقى الداخلية، لدرجة أنَّ الوحدات الموسيقية الداخلية كلَّها تُعتبر مجموعة فرعية من وحدة التكرار بصرف النَّظر عن الأنواع الثلاثة للموسيقى، يوجد أيضًا نوع رابع، وهو الموسيقى الدلالية الذي يشمل التناسقات الدلالية والتشابهات والتناقضات.[١٠]

لاختيار الكلمات وانتقائها دور هامٌّ في تشكيل الأسلوب. الكلمات ليست جامدة ومجمَّدة، بل هي حيَّة وديناميكية. لها الشخصية والهوية والبُعد العاطفي والثقافي. تحتوي المفردات على سمات أسلوبية كما يأتي: أ- حسي أو تجريدي. ب- العامة والخاصة. ج- ركيكة أو مفخَّمة. د- كلاسيكية أو حديثة.[١١]

أمّا النحو هي دراسة العلاقات بين الأشكال اللغوية في الجملة وكيفية تسلسل الكلمات وتجاورها[١٢] تلعب مكوّنات الجمل ونوع علاقتها مع بعضها البعض دورًا رئيسا في تكوين المعاني. يرى الجرجاني ليس الألفاظ وحدها تعبِّر عن المعنى بل نظم الألفاظ وتجاور وتسلسل الألفاظ هو الذي يضفي المعاني.[١٣]

وأيضاً تضفي الاستخدامات البلاغية والأشكال المجازية للغة طابعًا أدبيًا عليها. يستمدّ الأسلوب الأدبي جوهره من الصور المستعارة والأنظمة الموسيقية. النمط البلاغي للأسلوب هي الخلفية الرئيسة لتنوع التعبير

وبلورة الفردية وتخصيص اللغة، ودراسات المستوى البلاغي للغة لها نصيب كبير في الأسلوب الأدبي[١٤] وفقًا لعلم البيان، يمكن القول إنَّ بعض الشعراء – والكُتّاب – راغبون في استخدام الاستعارة والبعض الآخر راغبون في استخدام التشبيه، وبعض الشعراء مهتمون بالتصوير للغاية. في بعض الشعراء العظماء، كيفية البيان (How it is said?) مهمٌّ لدرجة أنَّه يطغى على موضوع العمل (What it is said?) ويضعه تحت شعاعه[١٥].

أمّا من حيث الأيديولوجية يتمّ في كتابات كل متحدّث وخطاباته عرض موقفه الشخصي وعقليته الأنطولوجية، القيم والتصورات والمعتقدات والمشاعر والأحكام المسبقة في وقته، بوعي أو بغير وعي. جيمونسكي (zhirmunsky) في تعريفه للأسلوب يعتقد بالوحدة بين الشكل والمضمون:"أسلوب المؤلف هو التعبير عن رؤيته للعالم في شكل صورة ومن خلال اللغة، لذلك فإنَّ دراسة أسلوب المؤلف وأهدافه ينبغي أن تكون مصحوبة بدراسة مضمون النص وصورته الخلفية.

٣- الرسالة الحادية والثلاثون من نهج البلاغة:-

الرسالة الحادية والثلاثون من نهج البلاغة هي وصية نصية طويلة كتبها الإمام علي (عليه السلام) عام ٣٨ هـ، عندما عاد من معركة"صفين" في قرية"حاضرين" كوصية موجَّهة إلى ابنه الإمام حسن (عليه السلام). هذه الرسالة توصية طويلة ومليئة بالكلمات الحكمية. طبعا الرسالة موجَّهة لجميع أبناء الإسلام وجميع المؤمنين وليس للإمام الحسن (عليه السلام) وحده. لأنَّ بعض كلماته مثل"عبد الدنيا" و"تاجر الغرور" لا تتناسب مع كرامة

الإمام وموقف العصمة.[١٦]

تتناول هذه الرسالة القضايا التالية: - الإنسان وأحداث العصر، مستويات تحسين الذات، الأخلاق الاجتماعية، الاهتمام بتربية الأطفال، مبادئ تربية الأطفال، الاهتمام بالروحانية، مبادئ العلاقات الاجتماعية، السعي لأجل زاد الآخرة، الرحمة الإلهية، استجابة الدعاء، النظرة الواقعية للحياة، حقوق الأصدقاء والمرؤوسين، والقيم الأخلاقية، المحور الرئيس لكل هذه القضايا هو التقوى الإلهية.

٤- أسلوبية الرسالة الحادية والثلاثين من نهج البلاغة:-

في بداية الرسالة حدَّد الإمام علي (عليه السلام) لنفسه سبع ميزات (الفان، المقرّ للزّمان، المدبر العمر، المستسلم للدّهر، الذّام للدّنيا، السّاكن مساكن الموتى، الظّاعن عنها غدا) ولابنه أربع عشرة ميزة (المؤمّل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، رهينة الأيّام، رميّة المصائب، عبد الدّنيا، تاجر الغرور، غريم المنايا، أسير الموت، حليف الهموم، قرين الأحزان، نصب الآفات، صريع الشهوات، خليفة الأموات). معظم هذه الصفات تدلّ على زهد عن الدنيا. وطبعاً ابتداء الرسالة باستخدام كلمة"الوالد" يصبغ الرسالة طابع حنون الأبوة وشفقته. وأيضاً اتصاف الوالد بصفة"الفان" يدلّ على صداقة الأب في هذه الوصية وعدم سعيه لتحقيق مكاسب دنيوية شخصية. الأوصاف المستخدمة أعلاه كلّها ديناميكية ولها معان ضمنية وعاطفية وعلى سبيل المثال"الظاعن عنها غدا" تشبِّه الموت بالهجرة ويخفِّف من ترهيب الموت، وعبارة"المؤمّل ما لايدرَكُ" تدلّ على

أنَّ الإنسان لا ينال كل ما يشتهيه فى الدنيا وهذا يمهِّد الناس لقبول بعض الفقدان وعدم الإحباط في مواقف الفشل. وأيضاً عبارة"تاجر الغرور" هي أيضًا عبارة مميَّزة وخاصة؛ لأنَّ التاجر – على عكس البائع – هو الذي وظيفته العادية هي البيع والشراء.(١٧)

كما أنَّ عبارة"غريم المنايا" تحمل معنى ضمنيا إذ الغريم يطلق على الدائن الذي يلحّ على حصول دينه بالضغط والاصرار(١٨) كما أنَّ الهموم في عبارة"حليف الهموم" تدلّ على نوع من القلق يكون دائما مع الإنسان يشتدّ إلى مستوى يجعل الإنسان ضعيفا ومستسلما.(١٩) وفي عبارة"حَذِّرهُ صولة الدَّهرِ"، كلمة"صولة" من الناحية الأسلوبية كلمة ملحوظة؛لأنَّ عمومية الكلمة وخصوصيتها لها تأثير على نمط النص و كلّما كانت الكلمة ذات دلالات خاصة ومعبرة عن معلومات أكثر حول الشكل والحجم والتذوّق، والصيغة الكلية للنص يكون بمقدرته أن يعطينا تصويرا حيّاً ونمطاً نصياً حسيّاً وتصويراً أدقّ.(٢٠) "صولة" كذلك تدلّ على هجوم مباغتة فمن الطبيعي أن يكون هذا الهجوم شديداً؛ لأنَّه لم يكن متوقّعاً وأنَّ الإنسان ليس لديه أيّة استعداد جسمي وروحي لصدّه. وكلمة"تفقّه" في عبارة"تفقّه في الدين" ذات معنى ضمني وملهم كما أنَّ"الفقه" عند العرب بمعنى الفهم العميق.(٢١) كما أنَّ استخدام كلمة"لبّ" عوضاً عن العقل في عبارة"يشتغل لبّك" من الناحية الأسلوبية اللغوية ذات معنى متميّز، إذ هناك سجعٌ وجناسٌ بين كلمة اللب وكلمة القلب، وعلاوة على ذلك فإنَّ لفظة"لبّ" يشير إلى الحكمة الخالصة الخالية من كل جهل وشذوذ في حين أنَّ العقل قد يتأثر بالإغواءات

النفسية.[٢٢] وفي عبارة"فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَ سِرْتُ فِي آثَارِهِمْ" استفاد الإمام من عبارة"نَظَرْتُ" عوضاً عن"رَأيتُ"؛لأنَّ"النظر" بمعنى التأمل والتفكر والتفكير، بينما"الرؤية" بمعنى الرؤية العادية (نفسه، مادة نظر). وفي هذه العبارة استُخدِم"سِرْتُ" عوضاً من" سافرت" إذ سرتُ أعم من كلمة"سافرت"؛لأنَّ السفر حركة فيزيائية أمّا السير قد يكون فيزيائيا وقد يكون غير حركي.[٢٣] قال الإمام:"سرت في أعمال الناس" وهذا يشمل التنّقل والتجوّل جسديًا وحقيقيًا والتدبر والتأمل من دون التنّقل جسدياً.

وفي عبارة"أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ" كلمة الخشوع ذات دلالة ضمنية وأخص من كلمة الخضوع"كما أنَّ"الخشوع" نوعٌ من التواضع النابض من القلب ويظهر آثاره على الجسم أما الخضوع قد يكون مقصورًا على إجهاد واضح للجسم بينما لا يعاني القلب من إجهاد.[٢٤] لذلك قال استفاد الإمام من عبارة" مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَة - وَ الْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى"من كلمة"الخضوع" بدلاً من"الخشوع"؛ لأنَّ عادةً الشخص الذي يكابر في الاستغناء، فإنَّ تواضعه عند الحاجة ليس أكثر من نفاق.

وكذلك في عبارة" وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ- فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَه"استُخدِم لفظ"مناهل" بشكل هادف؛ لأنَّ هذه الكلمة تعني شرب الماء من العيون المتواجدة على الطريق إذ لا ينقص منه شيئاً عند شربه لمنهاله.[٢٥] وهذا المعنى منسقٌّ مع كلمة"الطمع"؛ لأنَّ الجشع منتظر لكل إنسان ويمكن أن يقوده إلى الهلاك.

في عبارة"أَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي" كلمة"المبتلي"من حيث أسلوبية

المفردات كلمة مميَّزةٌ؛ لأنَّ الابتلاء يشمل الامتحان بالنعمة وبالنقمة.(٢٦)

واستخدام الخشية والشفقة في" وَ الْخَشْيَةَ مِنْ عُقُوبَتِهِ- وَ الشَّفَقَةَ مِنْ سُخْطِهِ" استخدام هادفٌ إذ أولاً يوجد سجعٌ بينهما وثانياً كلمة" الشَّفَقَة" تدلّ على الرحمة والاهتمام على أساس الوعي والإدراك.(٢٧) أما في عبارة أَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَة" كلمة"أَنْبَأْتُكَ" من الكلمات المميّزة التي تدلّ على خبر مهم واذا استخدم محله"أخبرتك" قلَّت من الأهمية وتأكيد الجملة. وفي عبارة"اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً"" كلمة"مِيزَاناً" كلمة مميَّزة؛ لأنَّ"الميزان" رمز علني وظاهري للعدالة. (٢٨) (ومعنى هذه الكلمة المستعملة على وفاق وتجانسٍ تامٍّ مع مراد الجملة.

في عبارة" وَ اغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ- فعل" اغْتَنِمْ" يحتوي معنى ضمني؛ لأنَّ احتساب الغنيمة شيءٌ مختلفٌ جدّاً عن الاستعلام المحض. وفي هذا الصدد الإمام علي (عليه السلام) كان يعتقد إذا طلب منك شخصاً في وقت الضيق ديناً أو مالاً أنظر إلى حاجته واغتنمها كغنيمة. وفي عبارة" إِنْ كُنْتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ" لفظ"تَفَلَّتَ" يلقي لنا معنى ضمنياً بمعنى أنَّنا اذا فقدنا شيئاً بشكل غير متوقّع وللأبد سيكون هذا الفقدان مصاحباً لضغوطات نفسية قوية. وأيضا في عبارة"فَإِنَّ الْمَرْأَة رَيْحَانَة وَ لَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَة" كلمة" رَيْحَانَة" يلقي جوّاً من الفرح والنعوشة والجمال.

أوّل نصيحة يقدِّمها الإمام علي (عليه السلام) بعد المقدمة هو الأمر بـ"التقوى" الإلهي. كلمة"تقوى" ليست كلمة محايدة في الأسلوب، بل هي مميَّزة، تشير هذه الكلمة عمومًا إلى التمسُّك بالأوامر الإلهية ومهارة

السلطة على النفس والسيطرة عليها من أي نوع من التلوُّث الداخلي والخارجي.[٢٩] بمعنى آخر، هذه الكلمة هي ملخَّص للرسالة بأكملها.

في أسلوبية الألفاظ، يتمّ دراسة الكلمات أيضًا حيثما كانت حسية أو مجردة. تكون الكلمات المجرَّدة أكثر قتامة؛ لأنَّها لا تقدِّم صورةً واضحةً لمعناها في ذهن القارئ. على سبيل المثال في عبارة"وَ أَنَّكَ فِي قُلْعَة وَدَارِ بُلْغَة- وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَة- ... - وَيَقْطَعُ الْمَسَافَة وَ إِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً" قد عَبَّرَ الإمام (عليه السلام) عن الموضوع العقلي الخالص التجريدي للموت البشري والحياة في العالم الفاني باستخدام الكلمات الحسية والرموز الموضوعية حتى يتمكن المرسَل إليه من فهم المقصود بشكل أفضل وهكذا يجعل من الأسلوب الأدبي للنص أكثر وضوحًا ويزداد تأثيره الفني مع هيمنّة الكلمات.

كما أنَّ في العبارات المذكورة نحو: «كِلَابٌ، عَاوِيَة، سِبَاعٌ، ضَارِيَة، يَهِرُّ، نَعَمٌ مُعَقَّلَة وَمُهْمَلَة وسُرُوحُ عَاهَة بِوَادٍ وَعْثٍ»؛ من حيث الأسلوبية تتميّز بأسلوب معجمي؛ وبهذه الطريقة يخلق كل واحد منها ضمنًا إحساسًا بالاشمئزاز والكراهية في ذهن القارئ تجاه الدنيويين (المتمسِّك بالعالم الفاني). وفي عبارة" تَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَة أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَة - وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّة" يتمّ التَّعبير أيضًا عن المعنى العقلي للسيطرة على الغضب بعبارات حسية وواقعية. وفي عبارة"أحيِ قلبَك بِالموعظة" استخدام مفردة"قلب" في محل"فؤاد" إنَّه ذات أهمية من حيث الأسلوبية المعجمية. فكلمة"قلب" هنا لا تعني القلب المادي، بل تعني الروح والنفس البشرية. ولكن بالنظر إلى أنَّ كلمة"القلب" هي كلمة حسية

وواقعية، ولكن"الروح" و"النفس" كلمات مجردة وعقلية، فقد تمَّ استخدام كلمة"حسي" بدلاً من"ذهني" لإزالة العتمة وغموض الأسلوب.

ومن إحدى الركائز للأسلوبية المعجمية هي توافق اللفظ والمعنى. ومن المستحسن أن يكون هناك انسجام و توافق بين أصوات الكلمات ومعانيها. وفي هذا الصدد نجد في عبارة" خُضِ الغَمَرات للحَقّ حيثُ كانَ" إنَّ خاصية الأسلوب المذكور واضحة؛ لأنَّ فعل الأمر"خض" يدلّ إلى الغمر الفوري في الماء و"غَمَرات" تشير إلى المياه الهائجة والغارقة. ويُلفَظ"خض" بشكل سريع وفوري، بينما تعاني اللسان من نوع من الثقل والبطء في نطق"غَمَرات". وأيضاً نجد هذا التلائم بين اللفظ والمعنى في عبارة"أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَة كؤودا". كلمة" كَؤوداً" من حيث النطق والتلفّظ فيها نوع من الصعوبة والتعقُّد. كذلك عبارة" فَإِنَّ الْمَرْأَة رَيْحَانَة وَ لَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَة"، الكلمتان" رَيْحَانَة" و" قَهْرَمَانَة" يوجد فيهما تنسيق و انسجام بين اللفظ والمعنى. وعلى هذه المشاكلة فإنَّ كلمة" رَيْحَانَة"، سلسة وسهلة النطق أمَّا اللسان في كلمة" قَهْرَمَانَة"، تعاني من الصعوبة في نطقها.

يؤدِّي تنوّع الكلمات وتعدّدها إلى إبراز الأسلوب الأدبي وبلاغته، فلو تأمَّلنا في هذه الرسالة(الوصية)، يتضّح لنا أنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد استخدم كلمات مختلفة ومتعددة. ومن غير الشائع أن ترى الكلمات تتكرر من دون غرض أدبي. على سبيل المثال، في هذه الرسالة تكرَّرت عبارة" أي بُنَيَّ" عشر مرّات، يثبت في الحسبان على أنَّ الإمام بهذا التكرار كان ينوي نشر الأجواء العاطفية والشعور الأبوي في جميع أجزاء الرسالة.

بالتَّأمل في الكلمات الرسالة يتضّح أنَّه بينما يتحدَّث الإمام علي (عليه السلام) عن موضوع عقلي وتجريدي، فإنَّ الكلمات المستخدمة ليست غريبة وغير مألوفة، ولكن الجمهور يتواصل بسهولة مع الكلمات؛ لأنَّ معظمَها حسي وواضح.

أما من حيث المستوى الصوتي، تبدأ الرسالة ببيان صفات الأب الحنون الذي على وشك الرحيل عن هذا العالم. إنَّ موسيقى هذا الجزء من الرسالة ثقيلة وهادئة. في هذا الصدد، حُذفت حرف" الياء" من كلمة"الفاني" ليرتبط بكلمة"زمان" وكذلك صوت ممدود" آ" في نهاية هذه الكلمة، ممّا يسبِّب نوعًا من الثقل والخمول. في اختيار البنية الصوتية يجب أن تتوافق الحروف وتكرارها مع موضوع النصح؛ لأنَّ تكرار الحروف يؤثر في تأليف الموسيقى. وفي هذا الصدد، فإنَّ عبارة" يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَ حَالِهَا- وَ زَوَالِهَا وَ انْتِقَالِهَا- وَ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَ مَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا- وَ ضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا"؛ فإنَّ تكرار الصوت الطويل فيه تستحضر وتوحي بالتأسف والتأوُّه ونبذ الدنيا.

أيضاً في هذه الفقرة، التي موضوعها الاهتمام والوعي بحالة الطفل؛ يؤدي تكرار الحرفين"السين" و"الصاد" إلى إنشاء صوت"صافرة" تُثير ضمنيًا نوعًا من التحذير والعقاب."غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي- فَصَدَفَنِي رَأْيِي وَ صَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ- وَ صَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي-...".

لكن في العبارة التالية، التي تحتوي على نظرة الإمام علي (عليه السلام) في مجال علم الاجتماع والسلوكية، فإنَّ تجاور الحروف وتسلسل الكلمات هو الأقل تنافراً

لبعضها البعض، وتخدم طلاقة الكلمات التّعبير عن هذه المعاني العميقة والقيّمة:"يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ- فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ- وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا- وَ لَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ" في العبارة" لِنْ لَمِنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ". أنَّ تكرار الحرفين"اللام" و"النون" يستحضر نوعاً من اللين والنعومة لما فيه من إعادة التأكيد للمعنى المقصود. كما أنَّ تجاور الحروف هذا قد أدَّى الى الجمال اللفظي للنص.

في نصوص النثر، يعد"السجع" أحد العوامل الرئيسة للموسيقى الداخلية، تمَّ استخدام هذه الصناعة في هذه الرسالة، ويمكننا ذكر هذه النماذج: الساكن والظاعن، غَرِيمِ وأسير وحليف وقرين و صريع، صَدَفَنِي وَ صَرَفَنِي، لَعِب و كَذِب، بَقِيتُ و فَنِيتُ، نَوِّرْهُ وَ ذَلِّلْهُ، و قَرِّرْهُ و بَصِّرْهُ، وحَذِّرْهُ و ذَكِّرْهُ، مَثْوَاكَ وَ دُنْيَاكَ، بَايِنْ وَ جَاهِدْ، سِنّاً وَ وَهْناً، نَخِيلَهُ وَ جَمِيلَه، حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ، أَهْوَائِهِمْ وَ آرَائِهِمْ، تَفَهُّمٍ وَ تَعَلُّمٍ و تَوَرُّطِ، الشُّبُهَاتِ وَ الْخُصُومَاتِ، مَالِكُ و الْخَالِقَ، جَدِيبٌ و خَصِيباً وَ مَرِيعاً و طريق و صديق و.... نتيجة لمجاورة الألفاظ المتناسبة يظهر لنا نوع من الموسيقى المخفية الذي يزداد من حدة التأثير على فكر المرسل إليه وخياله أكثر من سمعه. علينا أن نقول إنَّ"مراعاة النظير"، و"الطباق" من العوامل المنتجة لهذا النوع من الموسيقى وسنذكر بعض الأمثلة عن هذا الفن البلاغي المستخدمة في الرسالة: الدنيا، الدهر، الآخرة، الناس، الموت، بقيت و فنيت، انْتَقَلُوا، حَلُّوا، دِيَارَ الْغُرْبَة، مَثْوَاكَ و جَاهِلًا، عُلِّمْتَ، تَجْهَلُ، يَتَحَيَّرُ، يَضِلُّ، تُبْصِرُ و قَوْمٍ سَفْرٍ، جَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا،

وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ، فِرَاقَ الصَّدِيقِ، خُشُونَة السَّفَرِ، جُشُوبَه المَطْعَمِ، سَعَه دَارِهِمْ، مَنْزِلَ قَرَارِهِمْ؛ و طَرِيق، مَسَافَة بَعِيدَة، مَشَقَّة شَدِيدَة، حُسْنِ الِارْتِيَادِ، الزَّادِ، خِفَّة الظَّهْرِ، ثِقْلُ، وَبَالًا و خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، الدُّعَاءِ، الْإِجَابَة، تَسْأَلَهُ، لِيُعْطِيَكَ، تَسْتَرْحِمَهُ و تَلَافِيكَ، إِدْرَاكِكَ، فَاتَ، حِفْظُ، الْوِعَاءِ، بِشَدِّ الْوِكَاءِ و...

وفي باب الطباق سنورد الأمثلة الآتية المستخدمة في الرسالة: الدنيا و الآخرة، الجدّ و اللعب، الصدق و الكذب بقيت و فنيت، أَحْيِ وَ أَمِتْهُ، قَوِّهِ وَ ذَلِّهُ، حَلُّوا وَ نَزَلُوا، الْعَطَاءَ وَ الْحِرْمَانَ، الْخَالِقَ و الْمُمِيتُ، الْمُفْنِيَ و الْمُعِيدُ، الْمُبْتَلِيَ و الْمُعَافِي، أَوَّلٌ وَ آخِرٌ، قِلَّه وَ كَثْرَه، جَدِيبٌ و خَصِيباً، الْمُخِفُّ و الْمُثْقِلِ، الْمُبْطِئُ و الْمُسْرِعِ، عَاجِلًا و آجِلًا، عَزِيزُ و ذَلِيلَ، كَبِيرُ و صَغِيرَ، مُعَقَّلَة وَ مُهْمَلَة، اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ، عَبْدَ و حُرّ، شِدَّ و اللِّينِ، الْبَصِيرُ وَ الْأَعْمَى، قَطِيعَه وصِلَه، الْجَاهِلِ و الْعَاقِلِ، إنَّ الأمثة المذكورة عن مراعاة النظير والطباق من العوامل المؤثرة في خلق الموسيقى الداخلية.

وفي أسلوبية الأصوات يجب أن يكون موسيقى النص متناسقاً مع الموضوع. فموضوع الرسالة، الوصية وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) عندما كتب الوصية كان في مقام الجد والقلق مخافة من مستقبل ابنه، لذلك قام بتكرار كلمة"إياك" ثمان مرّات كدليل على التحذير والإنذار وهذا الصوت يجلب أذهان المرسل إليه، وإنَّه على تناسق كامل مع الوصية (الرسالة).

ومن العناصر المهمة الأخرى هو أنَّ في أغلب فقرات هذه الوصية نجد الكلمات المتقابلة مناسبة ومتسقة في معظم فقرات هذه الرسالة؛ على

سبيل المثال، في بداية الرسالة، غالبًا ما تكون الكلمات المتقابلة (اسم فاعل) مثل: الْفَانِ، الْمُقِرِّ، الْمُدْبِرِ،- الْمُسْتَسْلِمِ، السَّاكِنِ، الظَّاعِنِ، الْمُؤَمِّلِ، السَّالِكِ و... وفي القسم الثاني نجد أغلب الكلمات على صيغة فعل الأمر مثل: أَحْيِ، أَمِتْهُ، قَوِّهِ، نَوِّرْهُ، ذَلِّهُ، قَرِّرْهُ، بَصِّرْهُ، حَذِّرْهُ، اعْرِضْ، ذَكِّرْهُ، سِرْ، فَانْظُرْ و....

يظهر وبدقَّة في هذه الوصية الانسجام و الارتباط الوثيق بين الكلمات والعبارات والفقرات والاختيار الهادف للألفاظ. كما ذكر سابقاً فإنَّ في أسلوبية الأصوات؛ التماثلات والتناقضات والتشابهات في الحقل الأسلوبي للغة تسهّم في خلق موسيقى الأصوات. فعلى سبيل المثال نجد في العبارة التالية"أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً- وَ رَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً- بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ- ... -عُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَة". ألفاظاً مثل: السن، ازدياد وهناً، الوصية، العجل، نقصان الجسم، فِتَن الدنيا، قلب الحدث، أرض الخالية، يقسو قلبك، يشتغل لبّك، أهل التجارب و... كلّها تدور حول موضوع واحد وهو الوصية. ويلقي لنا هذه النقطة الظريفة أنَّ أباً ذا تجربة يوصي ابنه الشابّ في ريعان شبابه وبدايات رحلته. وأيضاً نجد التناقض بين الشيخوخة والشبيبة. فإنَّ هذه الكلمات والعبارات في حقل الأمور الدلالية والذهنية خلقت الموسيقى المعنوية لهذا الجزء من الرسالة بالتماثل وبالتناقض بين بعضها البعض.

تُعَدّ دراسة البنية النحوية للجمل من بين اهتمامات الدرس الأسلوبي. الرسالة الحادية والثلاثون من حيث الأسلوب النحوي تكون متماسكة وهادفة. تقديم الجار

والمجرور في عبارة:" مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ،-...- خَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ" يهدف غرضاً دلالياً إذ يقدِّم ويحصر عاطفة الأبوة. وأيضاً استخدم في هذه العبارة المشتقات التي أغلبها اسم الفاعل والصفة المشبهة لتشخيص هيئة المرسِل والمرسَل إليه (الشخصيات). كما أنَّ ذكر هذه الصفات، في شكل اسم الفاعل والصفة المشبَّهة في قوالب الجملة الأسمية،، يدلّ على يقين نظرة الإمام في الموضوع، وقربه منه. هذه الصفات المذكورة كلّها تقع في حقل دلالي واحد يربطهم علاقة التناسق والتجانس، الأب على وشك الموت ومغادرة العالم لكن الابن الشابّ ذو أحلام ممكنة ومستحيلة يعيش في خضم الاستمتاع ببركات العالم.

وعبارات هذه الرسالة متسلسلة لها ارتباطات دلالية ومتماسكة مع بعضها البعض. على سبيل المثال، ضع في اعتبارك الفقرة التالية:" وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ- قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ- وَ تَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ -... و ينفَي عنک وبالُهُ". في هذه العبارة الكلمات والعبارات متماسكة ومتناسقة ومقيدة للجميع، حول موضوع واحد وهو"دعا" ومسألة الله وبهذه الطريقة تمكَّن الإمام في هذه العبارات من شرح المعنى الواسع"دعا" بكلمات وعبارات موجزة.

قبل تحليل المستوى النحوي لهذا النص، يجدر لنا أن نشير إلى أنَّ معنى النحو في الأسلوبية هو مفهوم يتجاوز المفهوم الشائع في الكتب النحوية. فالنحو من وجهة نظر أسلوبية بمعنى مجموعة من قوانين النحو و الدلالة والتعبير الفعّالة في إنتاج المعاني الناشئة عن بنية الكلام.[٣٠] وبناء على ذلك فإنَّ تقديم الجار والمجرور – بيده –

جاء لغرض تخصيص المسند وحصر المسند إليه في المسند. أي أنَّ كنوز السماء والأرض في يد الله وحده. كذلك عبارة قوله عزّ وجّل "أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ" من حيث الأسلوبية النحوية ذات معنى دلالي، وبهذه الطريقة، يؤكد الإمام، باستخدام العديد من التأكيدات منها: حروف المشبهة بالفعل والجملة الأسمية وتقديم المسند على المسند إليه على أنَّ الغنيّ الحقيقيّ هو الذي بيده كل خزائن الأرض والسماء فلذا يجب أن يُسأل من الله الجبار القادر ولا عن عبيد الدنيا. ثم يختم ويقول الغنيّ بحق أذنَ بالدعاء وكلَّف نفسه بالإجابة. قدَّم وأكَّد الإمام في هذا الباب ثلاثة أبحاث؛ الغني الحقيقي، المسألة والإجابة بالشكل الموجز. العبارات والكلمات في هذه الفقرة متناغمة من الناحية التركيبية مع معنى الموضوع.

كذلك في عبارة "وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ" إلى عبارة "لَمْ يُؤْيِسكَ مِنَ الرَّحْمَة" من الفقرة المذكورة، تمَّ نفي تسع أفعال بحرف النفي "لم" وهذا التكرار من الناحية اللفظية يُؤكد المعنى السلبي للجمل. يكرِّر الإمام أنه لا ينبغي للعبد أن يقنط من رحمة الله وكرمه. بعناية في هذه الفقرة، يتبيَّن أنَّ الكلمات منظَّمة بطريقة متماسكة وذات مغزى داخل الجملة والجمل منظَّمة في الفقرة والفِقَرة منظَّمة في النص الأكبر بشكل وشيج ومتداخل.

وكذلك في عبارة" فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَة وَسِبَاعٌ ضَارِيَة- يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَ يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا- ... - سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى" تجاور الألفاظ المميَّزة وكيفية تجانسها والاتساق بينها وكيفية تركيب أجزاء الجملات وتناسبهم مع محتوى الوصية لها دورٌ هامٌّ في

تشكيل المعنى المقصود. كما أنَّ وفرة الألفاظ وتناسبها مع الموضوع من إحدى إهتمامات ومكوّنات الأسلوبية النحوية. والمثال في عبارة"أَيْ بُنَيَّ! إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي - فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وَ فَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ - وَ سِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ" لم يستخدم الإمام علي (عليه السلام) فعلاً واحداً أو عبارةً واحدةً لبيان وعيه عن أوضاع السَّلف وإنَّما استعمل أفعالاً ثلاثة"نَظَرْتُ"،"فَكَّرْتُ"و"سِرْتُ" ولكل منها دلالة خاصة كدليل على التأمل في كل الزاويا الحياتية للسلف وأخبارهم. وتَبَعاً لهذا التأمل وتدقيق النظر يقول:"حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ". فلولا هذه التكرارات كان صعباً على القارئ استيعاب"حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ". وأيضاً في فقرة"فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ- وَ فَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ- ...- لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَ عُلَقِ الْخُصُومَاتِ" هناك ألفاظٌ متنوعّة مثل" نَظَرُوا، نَاظِرٌ؛ فَكَّرُوا، مُفَكِّرٌ، عَرَفُوا، أَنْ تَعْلَمَ، عَلِمُوا، تَفَهُّمٍ، تَعَلُّمٍ والشُّبُهَاتِ" في مجال دلالي على شكل الترادف أو التقابل وذات ارتباط وثيق ممّا يدلّ على مضمون الرسالة. الكلمات المكررة في هذه الرسالة لا تعدّ إطنابا ولا حشواً لكنها استُخدِمت لغرض دلالي محدَّد. فعلى سبيل المثال استُخدِمت"إنَّ" خمساً وستين مرَّة مما يدلّ على عزم الإمام (عليه السلام) على مضمون الرسالة وجديتها. كما تمَّ ذكر عبارة"يا بُنَيّ" عشر مرات بصيغة التصغير؛حتى يتدفَّق الشعور العاطفي في جميع أنحاء الرسالة.

إنَّ لتوظيف الفنون البلاغية واستخدامها دور مهمّ في الأسلوبية البلاغية لهذه الرسالة. يتَّضح من دراسة الرسالة أنَّ الفنون البلاغية

مثل التشبيه، والاستعارة، والكناية، والسجع، والجناس، ومراعاة النظير، والطباق، وما إلى ذلك قد تمَّ استخدامها فيها، على سبيل المثال نذكر بعض الفنون البلاغية المذكورة في الرسالة:

الكلمات والعبارات الواردة في هذه الرسالة تتبع المتطلَّبات البلاغية من حيث الإيجاز والمساواة والإطناب؛ على سبيل المثال، يوجد إيجاز في بداية الرسالة وقد قام فيه الإمام بتعريف نفسه والمرسل إليه بكلمات موجزة. والمقتضى البلاغي للإيجاز في مقدمة الرسالة هو جذب انتباه القارئ وإدخاله توًّا من المقدَّمة إلى النص الأصلي ومن الجدير بالذكر أنَّنا نرى مساواة في توظيف الجمل الحكميه. وهذا النوع من الجمل عند الإمام بديهي ولا يرى فيها حاجة للإطناب ليتمّ قبوله من قِبل المرسَل إليه. مثل:" نِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ؛ مَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ؛ الْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ؛ ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ و...".

والإطناب والتطويل في هذه الرّسالة مطابق مع المقتضى البلاغي على سبيل المثال عندما يذكر الإمام سبب كتابة الخطاب ودافعها: -" أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً- وَ رَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً- بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ- ...“، الكلام يتجه نحو الأطناب؛ لأنَّ الغرض هو شرح أهمية الرسالة وإقناع القارئ بالالتزام بمضمون الرسالة.

في هذه الرسالة قد استفاد الإمام من بلاغة التشبيه على نطاق واسع ممّا جعل أسلوب الرسالة أسلوبًا تشبيهياً، يمكن القول إنَّ هدف الإمام من هذه التشبيهات، والتي في الأغلب حسيه وشعورية، هو أن يسهِّل الأمر على المخاطَب؛ حتى يتمكّن من أن

يفهم بشكل أفضل من المعاني العقلية والتجريدية للرسالة. في بداية الرسالة، تمّ ذكر خصائص الابن؛ وفي الأغلب استفاد من التشبيه البليغ؛ على سبيل المثال ألفاظ «الغرض، الرّهينة، الغَرِيمِ، الحَلِيفِ، النُصُبِ والصَرِيعِ» كلّها تشبيهٌ بليغٌ محذوفٌ فيها وجه الشبه وأداتها؛ لإبعاد التشبيه وتقوية المعنى. كذلك عبارة"إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ"، ذكر فيها مثالين لعبد الدنيا وعبد الآخِرة ليُذكِّرَ الوعظَ لابنه لترك الدنيا والسعي للآخِرة. وفي عبارة" أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ"- استخدم تشبيهاً بليغاً يشبِّه ابنه بفريسة هاربة من صياد الموت الذي يتبعه أبداً. وفي عبارة" فَإِنَّ الْمَرْأَة رَيْحَانَة وَ لَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَة"، يشبِّه المرأة بزهرة الربيع مع حذف الأداة ووجه الشبه للتقريب بين طرفي التشبيه. وكذلك في عبارة"أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ- فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَ إِنْ كَانَ وَاقِفاً" وشبَّه الليل والنهار بدابّة يسير براكبه إلى الأمام.

اُستُخدِمت الاستعارة في هذه الرسالة بشكل مكرَّر وهذا دليل على الثراء الدلالي لألفاظها ومعانيها المتداخلة ومتعددة المستويات، التي تزوِّد مجال تنوع التعبير وتبلور فردية الرّسالة. فعلى سبيل المثال نشير إلى بعض الاستعارات المستخدمة فى الرسالة:"أَيْ بُنَيَّ... أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَ الِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ"- الحبل هنا استعارة للشريعة."حَذِّرْهُ صَوْلَة الدَّهْرِ"؛الدهر استعارة مكنية وقد شُبِّه بالمهاجم."فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ" كَهْفٍ، استعارة من الله القادر؛"ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ" واستعار لفظ المَفَاتِيح للدعاء."جُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ" الدهر استعارة مكنية شُبِّه بالحصان."وَقَوِّهِ

بِالْيَقِينِ وَ نَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ" التنوير هنا استعارة من الحكمة أي أنَّه بالاستعارة شبَّه الحكمة بالنور؛ لأنَّ الحكمة في ظلمات الجهل كشخص يحمل مصباحاً يرشد القلب إلى الصراط المستقيم."وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ"، لفظ" لَا تَبِعْ"استعارة مصرحة، وكذلك في عبارة" وَقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ" لفظ"الزَّادِ" استعارة عن"التقوى" الذي يوصل به الإنسان إلى طرائق طويلة ومليئة بالمخاطر إلى قرب الله عزّ وجلّ وكذلك في عبارة"يَهِرُّ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَ يَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا"، لفظ" يَهِرُّ"، استعارة لمناوشة أهل الدنيا فيما بينهم لأجل الدنيا. وفي عبارة" سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ- لفظ"قعود"، استعارة للوقت الذي يتمّ فيه حلّ بعض المشكلات وفي عبارة" مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ وَ مَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ"، لفظ"خَانَهُ" من الناحية التحويلية، فهي أيضًا استعارة عندما يتعلّق الأمر بالإهمال والثقة؛ لأنَّ العالَم يشبّه الصديق الغادر في مثل هذه المواقف.

" خُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ إذ كانت"؛ كلمة «خُض» استعارة عن مواجهة المخاطر ودخولها للوصول إلى الحق. فهم المعاني الأصلية للاستعارة بحاجة إلى التأمل والتعمُّق. هذا التأمُّل والتوقُّف لفهم المعنى الرئيس، يخلق شعورًا بالترقُّب والرغبة في نفسية القارئ ويترك بعد فهم المعنى الرئيس، حلاوة في روح القارئ وتستقر تعاليمها في ذهنه لفترة أطول. كما أنَّ توظيف الاستعارة المكرَّرة في الرّسالة خير دليل على إصالة النص وشخصيته الأسلوبيه.

في عبارة"وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَه- فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ"،

كلمة"الصَّحِيحَة" كناية لعدم تلوُّثه بالخيانة والفساد، و"السّقم" كناية لتلوثه باللذي ذكر، وكذلك عبارة" خُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ إذ كانت"؛ كلمة"الْغَمَرَاتِ" كناية للصِّعاب والشدائد. وفي هذا الصدد استخدم الفنون البلاغية اللفظية الأخرى كالسجع، مراعاة النظير و... الذي وضَّحناه في قسم الأسلوبية الصوتية.

بالنَّظر إلى موضوع الرسالة، وهو الوعظ، من المتوقَّع أن تكون هذه الرسالة أيديولوجية. وأوَّل ما ورد في المقدمة هي مراعاة التقوى:" فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهَّ أَيْ بُنَيَّ وَ لُزُومِ أَمْرِهِ". يتمّ تذكير هذه المسألة مرة أخرى خلال الرسالة:"وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ- أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهَّ". تظهر إعادة التأكيد انسجام الفكر في الوصية. من الجدير بالذِّكر أنَّ كلَّ تفصيلات الرسالة يدور حول القضية الرئيسة وهي التقوى الإلهية. مواضيع الرسالة تشمل ما يأتي: الإنسان وحوادث الدهر، مستويات تزكية النفس، الأخلاق الاجتماعية، الاهتمام بتربية الأولاد، مبادئ تربية الأولاد، الاهتمام بالمعنويات، معايير العلاقات الاجتماعية، السعي من أجل جمع الزاد للآخرة، علامات الرحمة، شروط استجابة الدعاء، الواقعية في الحياة، حقوق الأصحاب،القيم الأخلاقية.

بعد أن أوصى الإمام ابنه بالتقوى، أمره بالالتزام بالتوحيد عملاً بقوله:" وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ، كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَ قِلَّه مَقْدِرَتِهِ وَ كَثْرَة عَجْزِهِ، و عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَ الْخَشْيَة مِنْ عُقُوبَتِهِ". لو تأمَّلنا في مضامين الرسالة نجدها مقدَّمة

بالصورة المتدرِّجة والمنطقية.

ويمكننا متابعة الأيدولوجية ليست في الجمل فقط بل في المفردات أيضاً؛لأنَّ المفردات ليست محايدةً وإنَّما تحمل دلالات ضمنية ومفاهيم تاريخية، وثقافية، وايديولوجية. وعلى سبيل المثال لفظ الميزان في:" يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً..." كلمة مميَّزة لها دلالات ضمنية، إذ هي رمز ومقياس للعدالة. وأيضاً استخدام الألفاظ الإنشائية نحو:- اجْعَلْ، فَأَحْبِبْ، اكْرَهْ، لَا تَظْلِمْ، أَنْ تُظْلَمَ، أَحْسِنْ، أَنْ يُحْسَنَ- تشير جميعُها إلى تركيز المؤلف على علاقة منصفة وعادلة مع الناس وتبرز الطبيعة الأيديولوجية للنص. هذه الرسالة تشمل المبادئ الفكرية والايديولوجية والحِكَمية. على سبيل المثال، ضع في اعتبارك الفقرة التالية:" يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ- فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ- وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا-،" إن يلتزم كل الناس بالمبادئ الفكرية لهذه الفقرة تمَّ القضاء على كل الفتن والعداوة والاستياء وتنتشر الصداقة والمودَّة بين النّاس. وفي هذا الصدد نجد استخدام حرف التأكيد"إنَّ" لخمس وستين مرة في مضامين الرسالة علاوة على استخدام أفعال الأمر والنهي والعناصر المؤكدة الأخرى. كلُّ هذا يشير إلى تأكيد الإمام على المبادئ الفكرية للرسالة ويبرز أيديولوجيتها.

النتيجة:-

بالنظر إلى أن المستوى الفكري للأعمال الأدبية ينبثق من أعماق النص؛ إنَّه ليس سوى نظرة المؤلف الخاصة إلى العالم من حوله، ويمكن القول إن رسالة ٣١ من نهج البلاغة هي رسالة مفتوحة لجميع أطفال العالم.

ومن خلال مراجعة الأسلوبية في هذه الرسالة تبيّن لنا الرؤية العالمية

للإمام (عليه السلام) إذ كتب الإمام علي (عليه السلام) بأسلوبه الأدبي الممتاز جملاً متناسقة حكيمة من منظور إسلامي وفقاً لمبادئ التكوين وأسس التربية الإنسانية.

ومن خلال دراسة الرّسالة اتّضح لنا أنَّ هناك علاقة وطيدة بين أصوات الألفاظ ومعانيها من الحزن والانذار والتخويف والتنبيه والتشويق. الموسيقى الداخلية للرسالة المكونة من مراعاة النظير والطباق تؤثِّر على فكر القارئ وذهنه والاستسلام لنغماتها كما أنَّ التناظر والتضاد والتشابه في الحقل الصوتي للرسالة خلقت الموسيقى الصوتية الخاصة لها. وهكذا لسجع الرسالة دور هامٌّ في ترسيخ البلاغة المنشودة، كما أنَّ اختيار الكلمات المميَّزة لها دور في جمالية نص الرسالة. فكلمة"والد" تعبِّر عن المودَّة والرَّحمة الأبوية وصفة"الفان" في الوصية جاءت بمعنى أنَّ الإمام (عليه السلام) لم يكن ساعٍ للمنفعة الشخصية وكلمة"الظاعن" قللت من رعب الموت وجلبت جوّاً من التشويق للقارئ كما أن كلمتي"تاجر" و"الغارم" ليستا كلمتين محايدتين بل تثيران جوًا من الإثارة المستمرة والإصرار على الاقتراض، على التوالي. والكلمات المستخدمة فى هذه الرسالة مثل:"هموم"،"صولة"،"تفقُّه"،"لُبّ"،"نظر"،"سير"،"خشوع"،"مناهل"، "مبتلي"،"شفقة"،"نبأ"،"ريحانة"،"سب اع"،"تجرع" و... كلها ألفاظ مميّزة من حيث اللفظ والمعنى.

وهكذا الأسلوبية النحوية للرسالة هادفة ومتماسكة ومنها تقديم المسند على المسند إليه وترتيب الكلمات وتأليف الكلام باستخدام اسم الفاعل والصفة المشبهة تبيّن الأسلوبية النحوية المتينة للرسالة. وأيضا في مقدمة الرسالة

تناسقٌ تامٌّ بين بنية الجملات ومعانيها من حيث التأكيد والإنكار. أمَّا المكون الأسلوبي الآخر لهذه الرسالة هو المستوى البلاغي. هناك استخدام الإيجاز والإطناب ملائمين بالمعنى المراد تعبيره فالاستعارة فيها مكررة على نطاق واسع كدليل على تعدد وغنى الدلالات والمعاني. وأيضا أدَّى استخدام التمثيلات العينية من مراعاة النظير، والكناية، إلى زيادة وضوح أسلوب الرسالة وتأثيره الفني.

هذه الرسالة رسالة أيديولوجية وأسلوبها الأدبي يسلّط الضوء على أفكار الإمام (عليه السلام) ورؤيته للدنيا والآخرة ومراعاة التقوى الإلهية. كل نصائحه بكل مصداقية تدور حول «التقوى» حتى إنَّ بعض كلمات الرسالة تحتوي على أفكار أيدولوجية. ومن هذا المنطلق نجد كلمة «الميزان» كأساس للتعامل مع الآخرين والطلب من القارئ أن يستخدم نفسه كمعيار للقياس بينه وبين الآخرين وأن يحبَّ الإنسان للآخرين حصول الخير الذي يحبّه لنفسه، من حلول النِّعم وزوال النقم، وبذلك يكمل الإيمان في القلب. نشمّ هذه الرائحة من محتوى الرسالة وهذا هو سرّ نجاح الرسالة وقوّة أسلوبيته الأدبية والتقوى الإلهي للإمام (عليه السلام) والذي يسبّب في إخراج رسالة نابعة من القلب واستقرارها في قلوب المتلقين.

الهوامش:

١- أبو حامد بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مكتبة آيت الله المرعشي ١٤٠٤ق؛ ص ٢٤.

٢- محمد الحسيني الشيرازي،؛ (لا تا)؛ توضيح نهج البلاغة؛ المجلد ٤؛ طهران: دار تراث الشيعة. ص ٤.

٣- جمال ميرصادقي،؛ (١٣٨٨ش)؛ عناصر داستان؛ (عناصر القصة) ط ٦؛ طهران: مطبعة سخن. ص ٥٠٤.

٤- محمود فتوحي،؛ (١٣٩٠ش)؛ سبک¬شناسي؛ (دراسة الأسلوب)؛ طهران: مطبعة سخن. ص ٩٢.

٥- المصدر السابق صص ٢٣٧-٢٣٩.

٦- المصدر السابق ص ٢٣٨.

٧- سيروس شميسا، كليات سبک¬شناسي؛ (كليات الأسلوبية)، طهران: مطبعة طهران. (١٣٧٢ش)؛ ص ١٥٣.

٨- محمدرضا، شفيعي كدكني،؛ موسيقي شعر؛ (موسيقى الشعر)؛ ط ١٠؛ طهران: مطبعة فردوس. (١٣٨٦ش)؛ ص ١٥١.

٩- محمود براتي،"موسيقي دروني در شعر پايداري"؛ (الموسيقى الداخلية في شعر المقاومة). مجلة"ادبيات پايداري"؛ (الخريف ١٣٨٩ش)؛ ص ٦٣.

١٠- محمدرضا شفيعي كدكني،؛ موسيقي شعر؛ (موسيقى الشعر)؛ ط ١٠؛ طهران: مطبعة فردوس. (١٣٨٦ش)؛ ص ٣٩٢.

١١ - محمود فتوحي، سبک¬شناسي؛ (دراسة الأسلوب)؛ طهران: مطبعة سخن. (١٣٩٠ش)؛ صص ٢٥٢-٢٦٢.

١٢- محمود فتوحي، سبک¬شناسي؛ (دراسة الأسلوب)؛ طهران: مطبعة سخن. (١٣٩٠ش)؛ ص ٢٦٧.

١٣- عبدالقاهر الجرجاني، دلايل الإعجاز؛ محقق: السيد رشيد رضا؛

ط ٥؛ القاهرة: دار المنار. (١٣٧٢ق)؛ ص ٢٨٠.

١٤- محمود فتوحي، سبک¬شناسي؛ (دراسة الأسلوب)؛ طهران: مطبعة سخن. (١٣٩٠ش)؛ ص ٣٠١.

١٥- سيروس شميسا؛ كليات سبک¬شناسي؛ (كليات الأسلوبية)، طهران: مطبعة طهران. (١٣٧٢ش)؛ ص ٣٠.

١٦- فيض الإسلام؛ ترجمة نهج¬البلاغه؛ طهران: دار"چاپ و نشر".(١٣٧٩ش)؛ ص ٩٠٨.

١٧- حسن مصطفوى،؛ التحقيق فى كلمات القرآن الكريم؛ القاهرة: دار الكتب العلمية- مركز نشر آثار علامه مصطفوي.(١٤٣٠ق)؛ ص ٤١٢.

١٨- حسن مصطفوى،؛ التحقيق فى كلمات القرآن الكريم؛ القاهرة: دار الكتب العلمية- مركز نشر آثار علامه مصطفوي.(١٤٣٠ق)؛ ص ٢٥٩.

١٩- المصدر السابق؛ ص ٣١٣.

٢٠- محمود فتوحي،؛ سبک¬شناسي؛ (دراسة الأسلوب)؛ طهران: مطبعة سخن. (١٣٩٠ش)؛ ص ٢٥٢.

٢١- حسن مصطفوى،؛ التحقيق فى كلمات القرآن الكريم؛ القاهرة: دار الكتب العلمية- مركز نشر آثار علامه مصطفوي.(١٤٣٠ق)؛ ص ١٣٥.

٢٢- حسين بن محمد؛ الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن؛ طهران: مطبعة رهنما. (١٣٨٧ش)؛ مادة لبب.

٢٣- حسن مصطفوى،؛ التحقيق فى كلمات القرآن الكريم؛ القاهرة: دار الكتب العلمية- مركز نشر آثار علامه مصطفوي.(١٤٣٠ق)؛ ص ٣٥١.

٢٤- أبو هلال، العسكري، الفروق اللغوية؛ تحقيق: محمد ابراهيم سليم؛ القاهرة: دار العلم والثقافة. (١٤١٨ق)؛ ص ٢٤٨.

٢٥- محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، محقق: جمال الدين مير

دامادی، بیروت: دار الفکر للطباعة و النشر. (١٤١٤ ق)، ص ٦٨١.

٢٦- أبو هلال؛ العسكري، الفروق اللغوية؛ تحقيق: محمد ابراهيم سليم؛ القاهرة: دار العلم والثقافة. (١٤١٨ق)؛ ص ٢١١.

٢٧- حسين بن محمد؛ الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن؛ طهران: مطبعة رهنما. (١٣٨٧ش)؛ مادة خشي.

٢٨- محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، محقق: جمال الدين مير دامادی، بیروت: دار الفکر للطباعة و النشر. (١٤١٤ ق)، ص ٢٢٩.

٢٩- حسين بن محمد، الراغب الإصفهاني،؛ المفردات في غريب القرآن؛ طهران: (١٣٨٧ش)؛ مطبعة رهنما.

٣٠- عبدالقاهر، الجرجاني، دلايل الإعجاز؛ محقق: السيد رشيد رضا؛ ط ٥؛ القاهرة: دار المنار. (١٣٧٢ق)؛ ص ٣٦٥.

المصادر والمراجع:

١- نهج البلاغة.

٢- التحقيق فی کلمات القرآن الکریم؛ حسن مصطفوی؛ دار الکتب العلمیة- مرکز نشر آثار علامه مصطفوي، القاهرة: (١٤٣٠ق).

٣- ترجمة نهج¬البلاغه؛ فيض الإسلام؛ دار "چاپ و نشر"، طهران، (١٣٧٩ش).

٤- توضيح نهج البلاغة؛ محمد الحسيني الشيرازي، المجلد ٤؛ دار تراث الشيعة، طهران.

٥- دلايل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، محقق: السيد رشيد رضا؛ ط ٥؛ دار المنار، القاهرة، (١٣٧٢ق).

٦- "سبک¬شناسي ادبی (دراسة الأسلوب الأدبي)؛ محمود فتوحي، مجلة متن پژوهی ادبی؛ المسلسل ١٣؛ الرقم ٤١؛ من ص ٢٣ إلى ص٤٠: (١٣٨٨ش).

٧- سبک ¬ شناسي (دراسة الأسلوب)؛ مطبعة سخن، طهران: (١٣٩٠ش).

٨- شرح نهج البلاغة، أبو حامد بن أبي الحديد، مكتبة آيت الله المرعشي، ١٤٠٤ق.

٩- عناصر داستان(عناصر القصة)؛ جمال ميرصادقي؛ ط ٦؛ مطبعة سخن، طهران، (١٣٨٨ش).

١٠- الفروق اللغوية؛ أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد ابراهيم سليم؛ دار العلم والثقافة، القاهرة، (١٤١٨ق).

١١- كليات سبک¬شناسي؛ (كليات الأسلوبية)، سيروس شميسا، مطبعة طهران، طهران، (١٣٧٢ش).

١٢- لسان العرب،؛ محمد بن مكرم، ابن منظور، محقق: جمال الدين مير دامادی، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٤ ق.

١٣- المفردات في غريب القرآن؛ حسين بن محمد، الراغب الإصفهاني،

مطبعة رهنما، طهران، (١٣٨٧ش).

١٤- "موسيقي دروني در شعر پايداري"؛ (الموسيقى الداخلية في شعر المقاومة)؛ محمود، براتي، مجلة "ادبيات پايداري"؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية؛ جامعة شهيد باهنر كرمان؛ السنة ٢، العدد٣؛ (الخريف ١٣٨٩ش).

١٥- موسيقي شعر(موسيقى الشعر)؛ محمد رضا شفيعي كدكني؛ ط ١٠؛ مطبعة فردوس، طهران، (١٣٨٦ش).

١٦- هنر در قلمرو مكتب(الفن في رحاب المدرسة)؛ جواد محدثي، طهران، (١٣٦٥ش).